Middle East Journal of Humanities and Cultural Studies
Homepage: http://meijournals.com/ar/index.php/mejljs/index
ISSN: 2710-2238 (PRINT)
ISSN: 2788-4686 (ONLINE)
مجلة الشرق الأوسط
للعلوم الإنسانية والثقافية
MESR
منار الشرق للدراسات والأبحاث
Manar Elsharq for Studies & Research

مقارنة مؤلفات طه حسين مع كتاب "الأيام" من خلال نظريّة المرآة، وتلقي النقّاد العرب لسيرته: دراسة أدبيّة نقديّة

عينـــــاء محمّـــد ملص
دكتوراه في اللّغة العربيّة وآدابها– جامعة الجِنان – لبنان

استلام البحث:18-09-2025 مراجعة البحث :25-10-2025 قبول البحث:10-11-2025

الملخص

سعى الباحث إلى مقارنة مؤلفات طه حسين مع كتاب "الأيام" من خلال نظريّة المرآة، وتلقي النقّاد العرب لسيرته، وهي دراسة أدبيّة نقديّة، تحدّث فيها عن التاريخ الأدبي لـ "طه حسين" من خلال نظرية المرآة، وتلقي النقّاد العرب لسيرة طه حسين في كتابه "الأيّام": الهدف، والمنهج، والممارسة النقديّة، والسّيرة الذّاتيّة، والرّواية.

وختم الباحثُ بجملة من النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: كتاب الأيام – طه حسين – نظرية المرآة – التاريخ الأدبي – الممارسة النّقديّة– السّيرة الذّاتية

Abstract:

The researcher sought to compare Taha Hussein's works with his autobiography "Al-Ayyam" (The Days) through the lens of mirror theory, examining the reception of his autobiography by Arab critics. This literary and critical study discusses Taha Hussein's literary history through mirror theory, and the reception of his autobiography by Arab critics in "Al-Ayyam," focusing on its purpose, methodology, critical practice, autobiography, and narrative elements. The researcher concluded with a set of findings and recommendations.

Keywords : The Book of Days – Taha Hussein – The Theory of the Mirror – Literary History – Critical Practice – Autobiography

المقدمة

سأحاول في هذا البحث فتحَ ساحة جديدة في الأدب، يحمل بيارقها طه حسين، لنشهد معاً ما أصبح معلومًا لدى الجميع من وقائع وأيام. ولا أقول ذلك لأي أمر، فلستُ من "غلاة ولا مسرفين"، ولستُ مبتكراً في هذا المجال، إنّما أسوقه لإظهار مدى عصريّة "طه حسين" ومدى تشابه كتاباته. ولستُ الآن بصدد تأريخ للرجل يضاف إلى سلسلة السير، وإنّما يقع همّي من جانب آخر، هو بالضبط ذلك الجانب من الانتاج الأدبي النهضوي الذي ظل مغمورًا طيلة فترات الصراع مع أنّه لا يقل أهميّة في شيء عن الجوانب الأخرى بل ربما فاقها جميعًا. سأحاول طرح مجموعة من الأسئلة عن نتاج طه حسين في دراسته الأدبيّة، والتي لم تكن مجرّد دراسات أدبيّة، كما سنرى في حينه. ولستُ أزعم أن أحداً لم يسبقني إلى طرق هذا الباب، إنّما جاءت الطرقات خفيفة متباعدة وفي سياق يختلف عما اتبعته. فلم يسبق أن طرق أحد مبحث المنهج في

دراسات طه حسين الأدبيّة في الكتب التي وقعت بين يدي على الأقل. وأشير إلى ما قاله الدكتور شكري فيصل[1]: "إنّ الأدب عند طه حسين متعة تسهل النفاذ إلى الهدف الاجتماعي الذي يتطلّع إليه" وإنّ وراء إثارة القضية الأدبيّة تكمن قضايا ومواقف كبرى.[2] كما تجدر الإشارة إلى ما قاله سامح كريم[3] –حول مؤلفات طه حسين وخاصة في الأدب والنقد– محاولًا توضيح منهج طه حسين في مجال دراسته للأدب وميله إلى ربط الأدب بالمجتمع واعتماده على الشك والرفض فكان التسليم والإيمان بمعاصي الماضي والتي ذكرها بكل حذافيرها في الأيّام. كما يضيف الدكتور "شوقي ضيف" "إن طه حسين وضع لنفسه ولمدرسته أصولًا ينبغي أن تبدو عليها دراستهم وهي ترد إلى جانبين: جانب علمي يتصل بفحص النصوص الأدبية وتحقيقها واستنباط دلالتها مع دقة التفسير والتعليل والتحليل ومعرفة الظروف التي أحاطت بها والمؤثرات المختلفة... وبيان الصلات بينهم وبين محيطهم وبيئاتهم وعصورهم. وجانب فنّي يتصل بنقل النصوص وتصوير شخصيات أصحابها وما تحدث في نفس قارئها من لذة، وهو الجانب الذي يحيل التاريخ الأدبي إلى عمل ممتع يلذ العقل والشعور ...". ومما لا خلاف عليه أنّه لابد لكل دارس للأدب من رسم طريقة البحث إذا توخّى الموضوعيّة في عمله الأدبي. ولما كان كل عمل أدبي –جدير بهذا الإسم– لا يخلو من موضوع يدور حوله، محاولًا الوصول إلى نتيجة معيّنة، كان لزامًا على الباحث أن يرسم طريقة معيّنة من عند نفسه أو مما سُبق إليه، يسير فيها قصد الوصول إلى غاية يرمي إلى تحقيقها من عمله الأدبي، وقد تكون هذه الغاية أدبيّة محصنة، وقد تتعدى إلى غير ذلك من الغايات الاجتماعية أو السياسية أو ما شاكلها ... ولما كان الأديب هو الذي يطبع نتاجه بطابعه ويصوغ أسلوبه الخاص، ويعطي الكلمة مدلولًا معيّنًا يتّفق عليه مع نفسه، رأيتُ أنّه لابد من الحديث في المصطلحات التي يضعها في خدمة منهجية وموضوعية. بعد هذا الحديث لابد من كلمة توضيحيّة عن المنهج أو المناهج التي اختصها طه حسين لنفسه في مؤلفاته موضوع البحث والنقد:

1- هل يقتصر المنهج على فرضيات أولية توجه البحث وتفسّر النتائج؟

2- هل هو طرائق ووسائل للبحث عن المواد ونقدها وتقديمها؟ هل هو معايير للصحة؟

---

[1] فيصل، شكري: شكري فيصل بن عمر بن فيصل، هو أديب وباحث، وكان أمين عام مجمع اللغة العربية. ولد في دمشق عام 1918م وتوفي عام 2010م، شارك بعصبية العمل القومي. مؤلفاته، الفنون الأدبية، مناهج الدراسة الأدبية، تطور الغزل في الجاهلية والإسلام، خطط الشام، الدعائم الخلفية. من امرئ القيس إلى ابن ربيعة، وغيرهان توفي سنة 1985م، ينظر د. حمدي السكوت، **قاموس الأدب العربي الحديث**، ص 372.

[2] حسين، طه: مقدمة تقليد وتجديد، جمع وتقديم شكري فيصل، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 14–15.

[3] سامح كريم: كاتب مصري ولد في مصر 1974–2016، أديب وكاتب مصري، مؤلفاته: ...طه حسين، كتب عربية ألهمت العالم، من حكايات الأقدمين، محاكمة ألف ليلة وليلة، العقاد في معاركه الأدبية والفكرية. www.handawi أخذ بتاريخ 2023/10/25.

في الحقيقة إنّ هذه الأشياء تجتمع كلّها في مناهج الفلاسفة: "تتمثّل بمنهج ديكارت في الفلسفة، فهو يضع الفرضيّات: –أن الله عليّ الكمال ولا يخدع– وأن النفس جوهر روماني– وأن الجسم جوهر ممتد امتداد النفس من طبيعة مغايرة للجسم تمامًا.[4] أما طرائقه في البحث عن الحقيقة فتقوم على الشك والتحليل والتركيب والاستقصاء ومعيار الصحة عنده: الوضوح واليقين.[5] وهنا سأتناول مؤلفات طه حسين:

1. مؤلّفاته كمؤرّخ للأدب.
2. مؤلّفاته كناقد للأدب، منها: الأيام، حديث الأربعاء، ذكرى أبي العلاء ...

وسوف يتضح لنا أنّ طه حسين يستعطي في سبيل إنشاء منهجه بمسالك مطروقة ومناهج معروفة كمنهج الجبر التاريخي. إنّ النقد يتّجه نحو الأدب ليدخل إليه ويتناوله بالتحليل والشرح وإظهار مواطن الخطأ والصواب فيه، ولا يكاد يترك النقد فنًّا من فنون الأدب إلا طرقه فهو يتحدّث في الشعر والنثر وفنونهما (كالمدح والهجاء والوصف والرثاء والتمثيل والقصة والوصف) وقد بحث على القراءة والترجمة والمطالبة وقد يدفع إلى التقدم والتطور ويعمل في تنمية الذوق الفني الذي لا يقوم نقد إلا به. فإذا كان الذوق من مقوّمات النقد، الذي يفوق العلم بالممارسة والدراية في رأي ابن سلام[6]، فإنّه كما نرى لم يعد ذلك الذوق المصقول كافيًا لتلبية حاجات عصرنا، وإنّما الناقد أصبح بحاجة إلى غذاء العلم والمعرفة ليبقى قادرًا على مجارات التطوّر، فالنقد في حقيقة الأمر مزيج من العلم والفن ويختلف النقّاد جودة وصفاء باختلاف حظوظهم منها. بعد ذلك لم يبقَ علينا سوى الإشارة إلى كتب طه حسين التي اتخذنا منها موضوعاتنا للبحث، فهل يمكن قسمة هذه الكتب إلى قسمين بشكل وحدة متجانسة لا نستطيع التفريق بين أجزائها. في الحقيقة أن النقد يكاد يشمل كل كتاب من هذه الكتب، وسنشير إلى بعض الكتب التي نستقي منها، وهي: "تجديد ذكرى ابي العلاء" و "فن الأدب الجاهلي" و"حديث الأربعاء" و"مقدمة طه حسين (فجر السلام)". أما الكتب الباقية فقد وضعت في سبيل النقد الأدبي ومنها نرسم المنهج النقدي وهي "مع أبي العلاء في سجنه" و"فصول بعنوان "خصام ونقد" و"ألوان". و"جنة الشوك" وأهم كتب في بحثنا "الأيّام".

[4] كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف بمصر، ط5، القاهرة 1969م،ص 82.

[5] الحاج، كمال: رينه ديكارت، دار الحياة بيروت، ط5، 1954م، ص 39–53.

[6] ابن سلّام: هو محمد بن سلّام بن عبد الله الجمحي بالولاء، كنيته أبو عبد الله، ولد سنة 105هـ–767م، من أهل البصرة، إمام في الأدب كان يقول بالقدر، فقال أهل الحديث يكتب عنه الشعر، أما الحديث فلا هو ثقة، جليل روى عنه الرياش والمازني ببغداد سنة 842م، له من الكتب طبقات الشعراء الجاهلين والاسلاميين، ببيوت الغرب، غريب القرآن، الاعلام، ط7، 1986م، مج 146/6، وأبو الطيب اللغوي مراتب النحويين، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2009.

1-التاريخ الأدبي لـ "طه حسين" من خلال نظرية المرآة:

لم تقتصر مؤلّفات طه حسين على شرح الأدب، وإنّما تعدّت ذلك إلى طرح آراء ونظريّات حول تاريخ الأدب، وهذه الآراء لا يمكن إغفالها لأنها تبين مدى اهتمام طه حسين بالأدب وفهمه لمشكلاته الأساسية. وجد في كتب القدماء مادة صالحة للتاريخ الأدبي دون أن تكون تاريخًا كما أراد، إذ كانت أعمال القدماء في نظرة قاصرة عن تاريخ أدبهم ومجاراة الآداب العالميّة الأخرى. فالتاريخ الأدبي عند العرب في نظر طه حسين – هو أقرب إلى النقل والروايات والسير منه إلى العلم الصحيح القائم على المناهج الحديثة، وهذا سبب تخلّفه عن الالحاق بركب الحضارة، فلماذا لا يكون طه حسين هو ذلك المؤرّخ الذي يحقق ما يفتقر إليه العرب وأدبهم. أراد طه حسين أن يجدد التاريخ الأدبي عند العرب محاولًا تحقيق منهج قادرٍ على الوصول بالدراسة الأدبيّة إلى غايتها، كما أراد لذلك المنهج أن يثبت أمام العلم ويمتاز عن المناهج القديمة بمجاراته لروح التطوّر الحضاري كما هي الحال في البلاد الراقية. ولم يقتصر في تكوين منهجه على جهده الخاص وإنّما تطلع إلى المناهج المعروفة والسابقة لعصره فأخذ منها ما استطاع وأضاف إليها ما استطاع فجاء منهجه على الصورة التي جاء عليها. ينتشر منهج طه حسين في أكثر من مقدّمة وفصل ويمتد عبر فترة زمنية طويلة ومعقّدة تنوّعت فيها مشاربه العلميّة والثقافيّة. ولا عجب إذا رأينا طه حسين لا يستقر على رأي معيّن، وهو الذي يقول: "وأنا رجل شديد الأثر أحب أن أكون واضحًا لمعاصريَّ، ولمن يجيؤن بعدي على أثري من الناس وضوحًا تامًّا في جميع ما اختلف على نفسي من الأطوار.[7] إنّ قول طه حسين هذا سينبّهنا بصورة خاصة إلى ما سيطرأ من تعديل على مواقف ارتضاها في مراحل متقدّمة من حياته الأدبيّة إزاء نظريّات أخذ بها وتشدّد في تطبيقها والبرهنة عليها. تعديل أحال العنف والتشدد إلى مهارة ونضوج، واحتياط اصطبغت به مؤلّفاته في مراحل حياته الأدبيّة المتأخرة.[8]

سنرى مثلًا على ذلك كيف تحوّلت نظريّة الأدب "مرآة" من الشدّة إلى اللين، فبعد أن كانت تلك النظريّة صالحة لأن تعكس كل شيء وبصورة مستمرّة أصبحت تعكس بعض الأشياء وفي ظروف آنية. لقد تحول الإيمان بها من القوّة إلى الضعف ومن التأكيد إلى التردّد. "يرى طه حسين أنّ المصادقة محال في نظر العقل وأنّ الاتصال محتوم بين أجزاء العالم بحيث يكون الشيء نتيجة لعلّة سبقته وسببًا لشيء يتلوه، وأن الكائن المستقل عن تلك الروابط لا وجود له في هذا العالم وإنّما يتألف هذا العالم منه أشياء يتصل بعضها ببعض، ويؤثّر بعضها ببعض".[9] كما يرى أنّ الحياة الاجتماعيّة إنما تأخذ

[7] حسين، طه: تجديد ذكرى أبي العلاء، دار المعارف بمصر، ط2، عام 1976م، ص10-11.

[8] حسين، طه: مرجع سابق، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص 11.

[9] المرجع نفسه، ص 15.

أشكالها المختلفة، وتنزل منازلها المتباينة، بتأثر العلل والأسباب، التي لا يملكها الإنسان.[10] وإنّ الأثر الأدبي هو تسيّج من العلل الاجتماعيّة والكونيّة. كما يرى أن الحياة الإنسانيّة في جميع ضروبها وفنونها قائمة على الباقاء والاستحالة. (هذا ما عبّر عنه أوجست كونت[11] بالثبات والتحوّل كما أشار إلى ذلك طه حسين في كتابه "ألوان"، فنحن بحكم البقاء وحاجتنا إليه مضطرون إلى أن نصل بين الأمس واليوم والغد، مضطرون إلى أن نصل بين القديم والجديد، مضطرون إلى أن نشعر بأن حياتنا الآن هي لم تكن نفس حياتنا قبل الآن فهي أثر قوي من آثارها،[12] ونتيجة لازمة من نتائجها. ونحن بحكم الاستحالة والتطوّر مكرهون على أن نشعر بأن يومنا يغاير أمسنا، وبأن حياتنا الآن اشتبهت بأمس من وجهة أو وجهين فهي تغاير من وجوه.[13] فالتجديد في ضوء هذا الكلام لا يكون في إماتة القديم، لأن ذلك يؤدي إلى قطع ما بين الماضي والحاضر من صلات، وإنما التجديد يكون في إحياء القديم وأخذ ما يصلح منه للبقاء وإضافة الحديث إليه فنكون بذلك قد حفظنا للحياة البقاء والاستحالة، أي البقاء والتطوّر. ثمّ ينظر إلى الأدب العربي فيرى أن الخطأ يوجد خارج هذا الأدب و"أنّ الشّعر القديم نفسه ليس كلّه ميتًا، وإنّما هناك شعر قديم مازال يترقرق فيه ماء الحياة[14] فالخطأ خارج الأدب والعيب الذي لحق به يأتي من مناهج البحث المتّبعة وفسادها و "كل عيب الأدب العربي أنه مجهول لا يحسبه أصحابه ولا يتعمّقونه. وكل ما يحول بين الأدب العربي وبين الحياة والخصب والنفع أن مناهج البحث عنه والاستقصاء له سيئة رديئة لم تنظم بعد.[15] هذه المفاهيم التي عرضناها تشكل المسلمة الرئيسة، في منهج طه حسين، وهي أن الاتصال بين الاشياء حتمي وضروري، كما تحتوي على فرضيّات طه حسين الأساسية التي انطلق منها، مؤمنًا بها، مستكملًا منهجه في سبيل تحقيق الباقاء والتطور في الأدب وفي غيره من مجالات الحياة. نرى أن بحوث طه حسين في معظمها متأثّرة بهذه المبادئ وهمّها الأكبر هو تحقيق التجديد في الأدب والحياة. بعد الحديث عن الفرضيّات الهامّة لا بد أن نبحث عن الوسائل والطرائق التي اعتمد عليها في بحثه. نظرية الأدب "مرآة" هي الوسائل المهمة التي اعتمد عليها طه حسين في كشف الحقيقة والوصول إلى نتائج تثبت الاتصال الدائم بين أجزاء هذا العالم، ولعلها الطريقة الكبرى والوسيلة الأهم في منهجه وقد أكثر من استعمالها في مجالات عديدة وفترات طويلة. تلك "المرآة" التي تظهر ذلك جليًا، وإن إمعان النظر والإلحاح على الفهم هو

---

[10] المرجع نفسه، ص 18.

[11] كونت، أوجست: Auguste Cote، ولد عام 1798–1857م، عالم إجتماع وفيلسوف إجتماعي فرنسي، أعطى لعلم الإجتماع الإسم الذي يعرف به الآن، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المبنية على الملاحظة، يعد هو نفسه الأب الشرعي والمؤسس للفلسفة الوضعيّة وهو تلميذ سان سايمون، معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، 2006م، ص 540–544.

[12] حسين، طه: حديث الأربعاء، المجموعة الكاملة، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973م، ص 323–324.

[13] المرجع نفسه، ص 324.

[14] المرجع نفسه، ص 323.

[15] حسين، طه: مقدمة فجر الاسلام، لأحمد أمين، دار الكتاب العربي، ط10، بيروت 1969م، ص 9.

من جملة ما افتقرت إليه المناهج القديمة التي آلت إلى الفساد. إذًا لتحقيق ذلك الفهم على دارس الأدب أن يتخذ من الآثار الأدبيّة "مرآة" يتبين فيها حياة الأمة في دينها وعلمها وسياستها، وفي ذوقها الأدبي والفنّي، وفيما لها من حياة اجتماعيّة واقتصاديّة.[16] وإنّ دارس الأدب عليه أيضًا أن يدرس اللغة من "حيث إنّها أداة للتعبير ووسيلة من وسائل البيان... ومن حيث إنّها مظهر من مظاهر التاريخ ومرآة لحياة الأمّة وموضوع للبحث العلمي، وندرس آدابنا كما يدرس الفرنسيّون والإنكليز والألمان آدابهم؟[17]. بهذا الجمع بين القديم والجديد، بل بين حسنات القديم وعلمية المناهج الحديثة يتوفّر للدراسة الأدبيّة منهج صالح بريء من الفساد فلا يحول حائل بين الأدب العربي وبين الحياة والخصب والنفع والاستمرار. ونظريّة الأدب "مرآة" لها وجوه كثيرة، وهي "أن الأدب مرآة" تتمثّل فيها نفس الأديب، والأدب مرآة تعكس العصر والبيئة، والأدب مرآة تصور المثل العليا للعصر، بل للعصور، والأدب مصدر من مصادر التاريخ أيضًا.[18] الأدب صورة تتمثّل فيها نفس صاحبه، والصفاء في الطبع، والتجديد والإتقان وصدق اللهجة والعاطفة ووضوح الصلة بين الأدب ونفس صاحبه، جميعها معايير تدلنا على صحة ما نرى في المرآة، وتبعث فينا الاطمئنان لما تقرر من نتائج.[19] ونحن نجد في حديث طه حسين عن حياة "كورت كوفكا"[20] ما وجدناه في حديثه عن أبي العلاء. فإن حياة كوفكا الغامضة المضطربة المليئة بالشر والنكر والبؤس واليأس كانت تنعكس في فضفضة فجاءت هذه الأخيرة ملتوية كحياته لا يعرف كيف ينهيها بما يصلح أن يكون غاية لقصة أو كتاب "ومصدر ذلك في أكبر الظن أن الكاتب نفسه لا يعرف لنفسه غاية يقف عندها أو أمدًا ينتهي إليه".[21] والأدب مرآة يتمثّل فيها العصر والبيئة اللذان وجد فيهما، ووضوح المعنى وجلاؤه، وصفاء اللغة ونقاؤها، وصدق اللهجة وصراحتها من الأدلّة التي تشير إلى متانة الصلة بين الأدب والواقع. كما يقول طه حسين "فلما ينعم الدهر على الباحثين عن التاريخ الأدبي بمن يجتمع فيه خلال عصره كلّها.[22] إنّ المؤرّخ الذي يدرس دراسة الحياة الأرستقراطيّة القرشيّة في الحجاز يلتمسها في شعر عمر بن أبي ربيعة[23]، وفي بغداد شعر ابي النواس[24]. فشعر ابن أبي ربيعة كما يقول طه

---

[16] حسين، طه: مرجع سابق، تجديد ذكرى أبي العلاء، ص 9.

[17] حسين، طه: في الأدب الجاهلي، المجموعة الكاملة، المجلد 5، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1973م، ص 18.

[18] تالس، أرسطو: فن الشعر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، ط2، بيروت 1973م، ص 71.

[19] إذا قرأت مثلا، رسالة أبي العلاء لأهل المعرة تجد تعبيرًا عمّا في نفس صاحبها من حب للعزلة وعزم عليها "حتى يخيّل إليك أنك تسمع ألفاظها من كاتبها وترى شخصه بين سطورها.

[20] فرانز كورت، كوفكا: Kurt Kafka، ولد سنة 1886م، أسس مع "فيرتايم" و "كوهلر" حركة الجشطلت، وكان الثلاثة من اليهود والألمان، ومن الصعب فصل أحدهم عن الآخر، اشتهر كوفكا بتجاربه على الحركة الظاهرة وميّز بين خمسة نماذج من الخداع البشري، من مؤلفاته كتاب "نموّ العقل" وهو محاولة لتطبيق الجشطلت على سيكولوجية الطفل، وكتاب " مبادئ علم النفس الجشطلت وهو عرض وافي لدراسات السيكولوجية حتى عام 1935م، توفي سنة 1941م، ينظر عبد المنعم الحقي: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، ص 423.

[21] حسين، طه: ألوان، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1958م، ط1، ص 59.

[22] حسين، طه: مرجع سابق، حديث الأربعاء، ج1، ص 299-300.

[23] ابن، أبي ربيعة: عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزون، ولد عام 644م-711م، شاعر مخزومي قرشي، شاعر مشهور لم يكن في قريش أشهر منه وهو كثير الغزل والنوادر ولقب بالعاشقن يكنى ابا الخطاب، وأبا حفص، وأبا بشر..، هو أحد شعراء الدولة الأموية ويعد من زعماء فن التغزّل في زمانه. الأعلام للزركلي 25/5.

حسين: كان أصدق مثال للعصر والبيئة اللذين كان يعيش فيهما"، ويضيف: فلست أعرف شاعرًا إسلاميًّا استطاع أن يمثّل العصر الذي كان يعيش فيه، والبيئة التي كان يحيا فيها كهذين الرجلين اللذين تستطيع أن تتخذهما مرجعًا في درس الجماعة التي كانت تحيط بهما. تريد أن تدرس العراق في صدر الدولة العباسيّة، وأن تدرس مدينة بغداد أيام الرشيد[25] فارجع إلى أبي النواس تريد أن تدرس حياة الحجاز في صدر الدولة الأمويّة، فارجع إلى أبي ربيعة".[26] والأدب مرآة تعكس المثل العليا للعصر كما يمكن أن يتصوّرها، فيغير الأديب عن أمانيه وخياله وعن أماني بيئته وطموحها. وقد بلغ الإجادة، والإتقان والنبوغ إلى تخطي العصر وتصوير المثل الإنسانيّة العليا. يقول حسين: "أنا لا أطلب من الشاعر أن يفهمني ما أراد حقًّا. وأنا لا أقيس براءة الشاعر بقدرته على أن يفهمني ما أراد حقًّا. وإنّما أريد من الشاعر البارع كما أريد من الموسيقي الماهر أن يفتح لي أبوابًا من الحس والشعور والتفكير والخيال".[27] وقد استطاع ابن أبي ربيعة أن يفتح تلك الأبواب في معلّقته بمعانٍ شعريّة رائعة لا تزال تنبض بالحياة. كما استطاع أن يعبر عن نفسه وعن قومه، وأن يكون "شاعرًا بارعًا، ومصوّرًا صادقًا لحياة نفسه، ولحياة قومه، ولحياة جيله من العرب في عصره في القصيدة كلّها"[28] كذلك شعر عنتر بن شداد مثلا على الحياة وصورة مثلى لما يتمنى أن يكون. فشعره بعيد عن معاني الرجولة الكاملة وعن عفّة العربي ومرؤته. وعن عطائه وكرمه وعن إقدامه وشجاعته، وبكلمة موجزة يصوّر أخلاقه وما يصبو إليه من قيم. يقول طه حسين "وكأن هذا الشعر مرآة صافية صادقة لكل نفس كريمة، ولكل قلب ذكي، ولكل خلق نقي".[29] وقيمة الأدب تقوى وتعظم كلّما اشتدّت الصلة بين الأدب وبين الحياة الواقعة، وكلما كان مصدر لحياة صاحبه. يرى طه حسين أن أدبنا العربي كان اجتماعيّا متضامنًا مع الحياة الواقعة في أزهى عصوره. وهذا التضامن والاتصال هما اللذان أكسباه القوة والحياة. فالشاعر الجاهلي كان لسان قبيلته ومحاميها والمدافع عنها في الشدائد، وكانت قصائد شعراء الإسلام تدافع عن الإسلام...وكذلك شعر النواس، وعمر، شديد الاتصال بالحياة. وهل استطاع أبو العلاء أن ينقطع عن واقع عصره وشؤونه وهو الذي فرض على نفسه قيود الاعتزال. وهل كان شعراء القرن الثاني بين لاهين وجادّين غير متصلين بالحياة الواقعة يصورون منها ألوانًا مختلفة؟ يقول طه حسين. "ولولا أن الأدباء يشاركون في الحياة الواقعة بأدبهم لما أمكن أن يلهج مؤرخو الآداب بهذه

---

[24] أبو النواس: (146هـ-198هـ/763م-814م)، الحسن بن هاني بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، أبو النواس، شاعر العراق في عصره، ولد في الأهواز كان عالمًا باللغة، له: ديوان شعر، وديوان آخر سمي الفكاهة والإنتتاس في مجون، أخبار أبو النواس، الاعلام 225/2.

[25] الرشيد، هارون: (766م-809م) هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، ابو جعفر، خامس خلفاء الدولة العباسيّة في العراق، نشأ في دار الخلافة ببغداد، وولاه أبو غزو الروم في القسطنطنيّة، تولى الخلافة بعد موت رقية، ازدهرت الدولة في أيامه، الاعلام26/8.

[26] حسين، طه: مرجع سابق، حديث الأربعاء، ج1، ص 299-300.

[27] حسين، طه: مع المتنبي، دار المعارف بمصر، ط11، القاهرة 1969، ص 30.

[28] حسين، طه: مرجع سابق، حديث الأربعاء، ج1، ص 194.

[29] المرجع نفسه، ص 194.

الجمل التي يلجون علينا بها من أن الأديب صورة لعصر هو مرآة لبيئته ومن أن الأدب مصدر من مصادر التاريخ ...وحقيقة الأمر أن الأدب متصل بالحياة الواقعة مشارك فيها مصور لها، حافظ بحكم هذا كله لخصائصها التي يمكن أن تُنقَل من جيل إلى جيل، وأن تصبح بعد ذلك موضوعًا لدرس التاريخ". وفي حديثه عن الأدب والحياة يرى طه حسين مع أهل الأصالة في الأدب أنّ الأدب ظاهرة إنسانيّة. نشأ مع نشأة الشعوب.[30] وليس في الأرض أدب إلا وهو يصور حياة أصحابه، من هنا كان الأدب مصدرًا من مصادر التاريخ الإنساني... فالأدب يصوّر حياة النفوس والقلوب والأذواق على نحو لا يستطيع التاريخ أن يصوّره، ولا أن يسجله ولا أن ينقله إلينا نقلًا صحيحًا دقيقًا.[31] ويجب أن نلاحظ أن هذه المرآة تعمل في اتجاه واحد، وقد تجتمع فيها كل تلك الخصال في وقت واحد أيضًا. وشدّة اتصال الأدب بالحياة بجميع نواحيها بعنوان صفائها وجودتها، تجتمع كل تلك الخصال في شعر حافظ ابراهيم[32] فيه "رحم الله حافظ إبراهيم لم يكن رثاؤه صورة لما يثور في نفسه ونفس الناس من حزن فحسب، وإنّما رثاؤه يصلح مصدرًا من مصادر التاريخ السياسي والاجتماعي في هذا العصر، فقد كان حافظ يبالغ ويغلو ويتبع الخيال ويضطر إلى المجال، ولكنه رغم هذا كله لم يكن يفسد الحقائق، ولا يعبث فيها، وإنّما كان مؤرّخًا صادقًا للحوادث في رثائه وشعره السياسي كما كان مصورًا مثقفًا للنفوس.[33]ونظريّة الأدب مرآة هذه تستعمل سلبًا وإيجابًا. فكما صحّ فيها تصوير نفس صاحبها وعصره وبيئته، كذلك يجب أن يكون انقطاعها عن التصوير دليلًا على أمرين لا يوجد الصواب إلا في أحدهما. فأما الأول فهو فقدان الصلة بين الأدب والحياة. وأن الأمر الثاني فهو أن المرآة في حال عجزها عن التصوير تكون مصنوعة مستعارة. وفي هذه الحال يستحيل فيها الصفاء إلى غموض والتجديد إلى تكلّف، والصدق يبدّل إلى كذب، والنشاط إلى فتور تافه، حرارة العاطفة أيضًا فاترة. ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك، وأهمّها قضيّة الشعر الجاهلي أوّل هذه الأمثلة غزل العباس بن الأحنف[34] في العصر العباسي والذي أقامه على غرار الغزل الأموي. فلم يستطع أن يبلغ جودة الغزل الأموي ولم يتمكّن من تصوير عصره الذي حل فيه المحبون والفسق محلّ اللّهو، والذي أصبح الغزل فيه غزلًا بالغلمان أكثر مما هو غزل بالنساء. لقد انقطعت الصلات بين الغزل العباسي وعصره ولم يستطع أن يوثقها بالماضي، فلم يأت غزلًا رائعًا يبعث في النفس حيويّة ونشاطًا، يقول حسين: "وإنما جاء فاترًا

---

[30] حسين، طه: مرجع سابق، ألوان، ص 200.

[31] حسين، طه: خصام ونقد، دار العلم للملاقي، ط8، بيروت كانون الثاني 1978م، ص 44-45.

[32] إبراهيم، حافظ: (1871م-1932م) محمد حافظ بن ابراهيم فهمي المهندس، الشهير بحافظ ابراهيم، شاعر مصري قومي، ومدون أحداثها نيفًا وربع قرن ولد في القاهرة، وعمل محاميًا، عمل محررًا في جريدة الأهرام، ولقب بشاعر النيل، له تصانيف ديوان حافظ، مجلدان، والبؤساء، ترجم به جزءين، لفيكتور هيجو، ذكرى الشاعرين، حافظ وشوقي، الأعلام مجلد6/76.

[33] حسين، طه ، حافظ، شوقي: منشورات الخانجي وحمدان القاهرة، 1976م، ص 157-158.

[34] ابن الأحنف، العباس: (192هـ=808م) العباس ابن الاحنف بن الأسود الحنفي اليمامي، أبو الفضل: شاعر غزل رقيق، قال فيه البحتري، أغزل الناس، انتقل مع أهله من البصرة إلى خرسان، ونشأ في بغداد ومات في البصرة، كان شعره كله غزلًا له ديوان شعر واحد، الزركلي للأعلام/ 259/3.

فلم يترك في النفس أثرًا قويًّا، لأنّ الغنى الذي أراد أن يختص به كان قد انقضى عصره، وانتهت الأسباب التي أوجدته ومكنت الناس من إتقانه والإجادة فيه"[35]. أما المثل الآخر نجده في حديث طه حسين عن الحياة الأدبيّة في جزيرة العرب، إذ يرى في هذه الجزيرة نوعين من الأدب أحدهما شعبي ويتخذ لغة الشعب ويصوّر حياة أصحابه، والآخر تقليدي ينشئه أصحابه متأثرين بغيرهم من أهل الحواضر خارج الجزيرة. يقول: "في جزيرة العرب أدبان مختلفان، أحدهما شعبي يتخذ لغة الشعب أداة للتعبير... أما الأدب الآخر فهو أدب تقليدي لا يكاد يوجد في البادية وإنّما مركزه الحواضر عادةً، هو أدب قد اتخذ لغة القرآن أداة للتعبير. وإذا كان الأدب التقليدي بعيدًا كلّ البعد عن هذا التصوير. ذلك لأنه مصنوع لا صلة بينه وبين الطبيعة الحرة، فهو لا يعكس ما يحسه الشعراء والكتاب وإنّما يمثّل ما يريد الشعراء والكتاب أن يضعوه فيه. حظ النفاق فيه أكثر من حظ الصراحة، ثمّ هو تقليدي لا يصدر فيه أصحابه عن أنفسهم وإنّما يقلّدون فيه أهل الحواضر من المصريين والسوريين والعراقيين".[36]وقضيّة الشعر الجاهلي "الشعر المنحول عنده" الذي سئل فيه طه حسين شكًا قويًا وانتهى إلى القول: "أن الكثرة المطلقة مما نسميه أدبًا جاهليًّا ليست من الجاهلية في شيء وإنّما هي منحولة بعد ظهور الإسلام".[37] وهنا تدخل نظريّة الأدب مرآة إلى جانب الشك القائم على طريقة ديكارت في البحث عن الحقيقة لإثبات عدم صحّة الشعر الجاهلي وذلك من وجوه ثلاثة.

أولها: الأدب الجاهلي لا يمثّل الحياة الجاهلية، إذ هو منحول متسلّحا بالشك الديكارتي، ومنطلقًا من أن الصلة لابد قائمة بين الأدب الصحيح وبين الحياة، ومن ضوء نظريّة الأدب "مرآة" لا ينكر طه حسين الحياة الجاهلية وإنّما ينكر أن يمثّلها هذا الأدب الذي يسمونه الأدب الجاهلي. فهو يرى أن ما بقي لنا من أدب جاهلي هو موضوع، منسوب إلى غير أصحابه الذين صدر عنهم بالفعل. وهنا يلح عليه البحث حظر لخطورة الموقف فيتخذ مرآة أخرى صادمة وصالحة، يتخذها من القرآن الكريم، ليظهر الحياة الجاهليّة كما كانت ويدل على عدم صحة الأدب الجاهلي، الذي لا يمثل شيئا من الحياة الجاهلية في نظر طه حسين. يقول: "القرآن أصدق مرآة للعصر الجاهلي، ونص القرآن ثابت لا سبيل إلى الشك منه"[38] لأن الصلة واضحة بينهما. فالقرآن الكريم يصور الحياة الدينية عند الجاهليين بما احتوت عليه من جدالٍ للنبي (صلّى الله عليه وسلم) جدالًا أنفق القرآن الكريم جهاده حظًا عظيمًا. "أما هذا الشعر الذي يضاف إلى الجاهليين فيظهر لنا حياة غامضة

[35] حسين، طه: مرجع سابق، حديث الأربعاء، ج1، ص 298.
[36] حسين، طه: مرجع سابق، ألوان، ص 40–41.
[37] حسين، طه: مرجع سابق، في الأدب الجاهلي، ص 67.
[38] المرجع نفسه، ص 72–82.

جافّة بريئة وكالبريئة في الشعور الدين القوي والعاطفة الدينية المتسلطة على النفس والمسيطرة على الحياة".[39] والقرآن يصوّر لنا طبقة المستترين عند العرب الذين جادلهم النبي (صلّى الله عليه وسلّم) وجاهدهم، ووطبقة العامة اللذين لا حظّ لهم من استنارة وامتياز، كما صوّر لنا اتصال العرب بمن حولهم من الأمم. والشعر الجاهلي يصور أصحابه معتزلين، والأدب أولى بوصف الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة. فنحن نجد القرآن يصوّر حياة الأغنياء والفقراء. ولا نجد ذلك في الأدب "وأنت تقرأ هذا "الأدب الجاهلي كلّه دون أن تظفر بشيء ذي غناءٌ بمثل حياة العرب الاقتصادية فيما بينهم وبين أنفسهم".[40]والأدب أولى بتصوير الحياة النفسية "هذه الناحية التي إن فكّرنا فيها قليلًا لم نلبث أن نتساءل عن هذا الشعر الجاهلي أصادق هو أم كاذب. فالشعر الجاهلي يمثّل لنا العرب أجوادًا كرامًا مهينين مسرفين في ازدرائها، ولكن في القرآن إلحاحًا في ذمّ البخل وإلحاحًا في ذمّ الطمع".[41] والطبيعة أيضًا أشد الأشياء أثرًا في الأدب ومع ذلك لا نجد في الشعر الجاهلي عناية بحياة الصحراء والبادية بما يمثّها تمثيلًا كافيًا، ولا نكاد نجد ذكرًا للبحر أو إشارة إليه.

ثانيهما: الأدب الجاهلي لا يمثّل اللغة الجاهليّة. إذا هو منحول

وآخرهما: الأدب الجاهلي لا يمثّل اللهجات الجاهليّة إذا هو منحول.

إنّ نظريّة الأدب "مرآة" هذه تشمل اللغة أيضًا، فإذا لم تكن اللغة "مرآة" للعصر ومظهرًا من مظاهر التاريخ تكون لغة لا صلة لها بالعصر وليست منه في شيء. وعلى الأدب أن يمثّل لغة عصره الذي قيل فيه ولا يعقل أن يقال أدب بلغة عصر غير عصره. "فهذا الأدب الذي رأيناه لا يمثّل الحياة الدينيّة والعقليّة والسياسيّة والاقتصاديّة للعرب الجاهلين بعيد كل البعد عن أن يمثّل اللغة العربيّة في العصر الذي يزعم الرواة أنه قيل فيه".[42] يتابع طه حسين ويصل إلى اللهجات الجاهليّة فيرى أن هذا الشعر الذي كتب بلغة قريش ليس شعرًا جاهليّا لأنّه لم يظهر اختلاف اللهجات العربيّة، وخاصّة أن اختلاف هذه اللهجات ثابت عنده بالاعتماد على العقل وعلى ما يسوغه النقل وخاصة أن الرواة مجمعون "على أن قبائل عدنان لم تكن متّحدة اللغة ولا متفقة مه اللهية". ويوقل: "فأنت تستطيع أن تقرأ هذه المطولات أو المعلقات التي يتخذها أنصار القديم نموذجًا للشعر الجاهلي الصحيح. فسترى أن فيها مطولة لأمرئ القيس وهو من كندة ابن قحطان وأخرى لزهير وكلهم من قيس، ثم قصيد لطرفة، وقصيدة لعمرو بن كلثوم[43]، وقصيدة أخرى للحارث بن حلّزة[44]، وكلّهم من ربيعة.

---

[39] حسين، طه: مرجع سابق، في الأدب الجاهلي، ص 72–75.م

[40] المرجع نفسه، 72–82.

[41] المرجع نفسه، ص 72–82.

[42] حسين، طه: مرجع سابق، الأدب الجاهلي، ص 82.

[43] عمر، ابن كلثوم: التغلبي، أبو الأسود وهو شاعر جاهلي مجيد من أصحاب المعلّقات، ولد في جزيرة العرب، ولد عام 526 وتوفي عام 584، أعماله البارزة: معلقة عمر ابن كلثوم، الأعلام 4/5.

2-تلقي النقّاد العرب لسيرة طه حسين في كتابه "الأيّام".

يعتبر "الأيّام" الأنموذج الأمثل الذي يعكس جنس السيرة الذاتيّة العربيّة الحديثة، حسب العايير والأسس الغربيّة، عندما يكتفي الباحث من الناحية الفنيّة بأولى المحاولات التي تقرب بين الترجمة الذاتيّة وبين الفن الروائي والحقيقة أن كتاب "الأيّام" أثار الكثير من التساؤلات لدى النقاد خاصّة، فيما يتعلّق بماهيّة جنسه الأدبي، ويرد ذلك اللعبة السرديّة التي يتبنّاها "طه حسين"، والتي تعمل على إخفاء الذات الكاتبة، فنلاحظ أن الكتاب جاء خالًا من ميثاقه السير الذاتي، بل لعله ميثاق ينأى بنا عن السيرة الذاتيّة، ويدنوا من الكتابة التسجيليّة التاريخيّة، إذ تحيل "أيام طه حسين" لفظًا على أيّام العرب في ذهن المتلقي، ويعتبر تأكيد علاقة بين الأطراف الرئيسيّة الثلاثة التي تؤسّس السيرة الذاتيّة وهذا تمامًا ما يجعله يدور في دائرة هذا الجنس[45] عند النظر إلى تاريخ تلقّي "الأيّام" لطه حسين، نكتشف أنّ أهم إشكاله جماليّة شغلت النقاد العرب والدارسين وضعت أوراقهم النقديّة عن هذا الخطاب تتعلق بمسألة التجنيس، فكانت الحيرة النقديّة حاضرة بشدّة في تجنيس الأيّام بين الرواية والسيرة الذاتيّة وفي ظنّي أن السارد (طه حسين) أنجز إبداعيّة أيّامه على وجه التحديد عندما كتب سيرته عن وعي أو غير وعي منه على أسس "روائية السيرة الذاتيّة" ومن ثمّ أجبرنا باختيارنا وصدمتنا الجماليّة كمتلقّين على أن تحتفي بهذه الجماليّة التمويهيّة التي هدمت أسطورة نقاء الأنواع والأجناس "الأيام" التي تعد سيرة ذاتية روائيّة بدرجة جماليّة لافتة من جهة التأسيس في المشهد السردي العربي للعلاقة الحميمة بين السيرة والرواية.[46]

أ-الهدف:

قد يكون كتاب "الأيّام" أوّل كتب السيرة التي سوف نتوقف عليها، فقد ارتأيت أيضًا أن تقف مع هذه السيرة من خلال كتاب محمود السمرة[47] الذي صدر بعنوان (سارق النار)، وتناول فيه السمرة حياة طه حسين وأدبه ونقده وفكره وبخاصّة أن النزعة الإنسانيّة واضحة في أدبه للدرجة التي نجد فيها "موضوع كل روايات طه حسين تدور حول "المعذبون في الأرض".[48] ولعل ميزة طه حسين في الأيام أنّه "يلغي الحواجز بينه وبين القارئ بحديث صادق، وأسلوب جميل وببساطة القص، وموسيقى عذبة يضبط إيقاعها الصوت في اللغة العربيّة حتى الآن".[49]في الجزء الأول من الأيام نجد طه حسين يروي

---

[44] الحارث، ابن حلّزة: واسمه الحارث بن فكروه بن يزيد بن الكنانه، كان شديد الفخر بقومه، ولد عام 554 وتوفي عام 80هـ=700م، أي أواخر القرن السادس الميلادي له معلقة في الشعر، الاعلام، الزركلي ح/154.

[45] بابا، سامية: مكون السيرة الذاتية في الرواية العربية، حكايتي شرح يطول، لحنان الشيخ، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2012، ص 58-59.

[46] المناصرة، حسين: وهج السرد، مقاربات في الخطاب السردي السعودي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، (د - ط)، 2010، ص 96-97.

[47] السمرة، محمود: كاتب ووزير أردني، ولد في بلدة الطنطورة في حيّها في 1923م، وتوفي في عمان 2018م/ أهم مؤلفاته: مقالات في النقد الأدبي، سارق النار، أنظر مجلة العربي الكويتية، العدد 412، ص 23-31.

[48] السمرة، محمود: سارق النار، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص120.

[49] المرجع نفسه، ص 123.

مأساة صبي صغير فقد بصره وهو في الثانية من عمره، بسبب جهل حلاق القرية الذي كان يقوم بتطبيب المرضى أيضًا وأنت لا تستطيع إلا أن تقف معجبًا مبهورًا وهو يصف لنا الصبي الصغير وهو يحاول التعرّف على الحياة والناس بحواس ناقصة وإمكانات محدودة.[50]

ومن الجزء الثاني من "الأيّام" يتحدّث المؤلّف عن الأزهر "إلى أن يتوقف عن الدراسة فيه ليلتحق بالجامعة المصريّة الأهليّة الحديثة النشأة، وهو في هذا الجزء كما في الجزء الأول يتحدّث عن نفسه للوصول إلى الحديث عن الآخرين، وهو يقدم لنا صورة حيّة عن الحياة في الأزهر من جميع جوانبها".[51]ونجد هذه الدراسة في إشارة السمرة إلى أن طه حسين يتحدّث عن نفسه للوصول إلى الحديث عن الآخرين دليلًا واضحًا على اهتمام طه حسين بإبراز النزعة الانسانية في أدبه، ومما يؤكد هذه النزعة الإنسانية قول طه حسين عن نفسه بضمير الغائب. وكان هو فقيرًا متوسّط الحال في أسرته، سيء الحال جدًّا إذا أقام في القاهرة، فأتاح له ذلك أن يفكر في ما يكون من هذه الفروق الحائلة بين الأغنياء المترفين والفقراء البائسين.[52]أما الجزء الثالث من الأيام فقد كتبه طه حسين بعد سنوات طالت على صدور الجزء الثاني، ويبدأ طه حسين باستعداد للسفر إلى فرنسا، وينتهي بعودته إلى مصر، بعد أن حصل على الليسانس ودكتوراه الجامعة وهذا الجزء حافل بالمواقف المؤلمة وفيه قليل من لحظات الفرج.[53]وحين يتحدث طه حسين عن عاهة العمى التي أصابته فإنّه يتحدث عنها من جانبها الإنساني، ويتحدث عن نفسه في هذا المقام بوصف فردًا من فئة لها آلامها التي قد يشعر أو لا يشعر بها مجتمع المصريين.[54] وكان قد قرأ فيما قرأ من أحاديث أبي العلاء أنّه كان يقول: "إنّ العمى عورة، وفهم هذا كما فهمه أبو العلاء نفسه، فكان ينحرج في كثير من الأشياء أمام المبصرين، وكان يستخفي بطعامه وشرابه كما كان يستخفي بهما أبو العلاء حتى لا يظهره المبصرون منه على ما يثير الإشفاق والرثاء والسخرية".[55]

وبذلك تكون النزعة الإنسانيّة في "الأيّام" "قد برزت من خلال براعة طه حسين في انتقاء الأحداث وعرضها في صور صادقة، تملك على القارئ ليه، وقد نجح طه حسين في أن يجعل لنا كتابه مؤثرًا في النفوس لأنّه تحدّث فيه عن نفسه بصيغة الغائب، وهذا الأسلوب مكّنه من أن يقول ما يريد دون أن يشعر القارئ بالملل".[56]

---

[50] المرجع نفسه، ص 123.

[51] السمرة، محمود، مرجع سابق، سارق النار، ص 124.

[52] النعيمي، أحمد: الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر، دار البازوري العلميّة للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، د.ط، ص 106.

[53] السمرة، محمود: مرجع سابق، سارق النار، ص 124-125.

[54] النعيمي، أحمد: مرجع سابق، الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر، ص 107.

[55] حسين، طه، مرجع سابق، الأيام، ج3، ص 125.

[56] السمرة، محمود: مرجع سابق، سارق النار، ص 125.

ب–المنهج:

وظف النقد قراءته النقديّة لكتاب "الأيّام" في نص تقديمه لها منهجًا تاريخيًّا لأنّ الكاتب يلجأ إلى الذاكرة في استعادة أيّام طفولته وصباه وحياته في البيت الصعيدي والذي نشأ فيه، وبعدها ينقلنا الكتاب وسيّده، ومن ثمّ ينتقل بنا إلى رحاب الأزهر وأدراجه وزواياه. وينتقل بنا من حلقة إلى أخرى، أمّا الجزء الثالث يحدّثنا عن فترة جديدة في حياته وهي فترة الصراع في سبيل التجديد والانفتاح، وفترة الانتقال إلى عالم جديد هو عالم أوروبا. فهذا التسلسل التاريخي واضح وجلي في كتاباته التي عدّها البعض تسجيلًا تاريخيًّا لحياته. حيث اعتمد في الأيّام، جمع المعلومات حسب تسلسلها اليومي مثالًا بأخبار الريف، ثمّ القاهرة (الأزهر) ثمّ الجامعة في فرنسا وما إلى ذلك من أخبار الطتاب في الريف يسترسل في سرد الأحداث ولم ينسى وصف حاله بين أخواته، ثمّ رفاقه، ثمّ في المجتمع عامّة، ينقطع تارةً ويتابع تارةً أخرى.[57]

ج–الممارسة النقديّة:

اختلف بعض النقّاد في تصنيف عمل بعينه وذهبوا في ذلك مذاهب مختلفة، فمنهم قال بأنّه "رواية" ومنهم قال بأنّه "سيرة ذاتيّة"، ومثال ذلك "كتاب الأيّام" اختلف في تحديد نوعه في تصنيفه، ذلك أنّ "الأيام" عمل من نوع خاص، فلو طبقت عليه الشروط الفنيّة للسيرة الذاتيّة من جهة، أو شروط العمل الروائي من جهة ثانية، فلن نجد فيه ما يقربه إلى هذا النوع أو ذلك، فالربط بين الأحداث والشخصيّات والمواقف والصور في "الأيّام" ربط خارجي وميزة أدب الإعترافات واضحة فيه، والتسلسل التاريخي العام بين إلى بعيد، غير أنّ هذا لا ينفي عنه نموّ الشخصيّة الرئيسيّة وقدرتها على الحياة والحركة وقدرة الكاتب على تصوير البيئة المحيطة.[58] وترى ساندي سالم أبو سيف[59] أنّ الكتاب جاء خاليًا من الميثاق السير الذاتي بل لعله ميثاق ينأى بنا عن السيرة الذاتيّة، ويدنو بنا إلى الكتابة التسجيليّة التاريخيّة، إذ تحيل أيّام طه حسين لفظًا على أيّام العرب في ذهن المتلقي ويعسر تأكيد علاقة التطابق بين الأطراف الرئيسيّة الثلاثة التي توئس السيرة الذاتيّة (السارد–المؤلّف–الشخصيّة) إلا عبر معادلة عسيرة تستنتجها استنتاجًا في الفصل الأخير من الجزء الأوّل من كتاب "الأيّام"، إذ يرفع السارد قناعًا كاشفًا عن وجهه ليخاطب ابنته، وعندئذ تتحقق المعادلة التالية: (السارد=المؤلف=الشخصيّة).[60] نضيف إلى ذلك كلّه، ما يتعلّق بضمير الغائب، ليتحوّل إلى مؤرّخ ينتقد البيئة ويضعها ويتحدّث عن التعليم بالأزهر، وغيرها من المواضيع التي تهم الحياة العامّة، وننأى عن الحياة الشخصيّة التي نعدّها غير السرديّة الحديثة حدًّا من حدود السيرة الذاتيّة.[61]

---

[57] عيسى سليمان، سحر: قراءات من المكتبة العربيّة، دار البداية ناشرون، ط1، 2012م، ص 266.

[58] أبو سيف سالم، ساندي: الرواية العربيّة، (إشكاليّة التصنيف)، دار الشروق للنشر وموزعون. ط1، 2012، ص 266.

[59] أبو سيف سالم، ساندي: روائية سعودية، عالمة وباحثة، لا ترجمة.

[60] مرجع سابق، الرواية العربية، ص 266.

[61] أبو سيف سالم، ساندي: مرجع سابق، الرواية العربية، ص 267.

د-سيرة ذاتيّة:

يذهب محمد الباردي[62] إلى أن كتاب "الأيّام" يعد النص التأسيسي الأوّل للسيرة الذاتيّة في الأدب العربي.[63] وكذلك بموافقة الرأي "إحسان عبّاس" فهو يرى أن "للأيّام" في السيرة الذاتيّة الحديثة مكانة لا تطاول إليها أي سيرة ذايّة أخرى، في أدبنا العربيّ، وخاصّة في الجزء الأوّل منه بمزايا كثيرة منها تلك الطريقة البارعة في القص والأسلوب الجميل والعاطفة الكامنة في ثناياه المستعلقة أحيانًا حتى تطغى على السطح، وتلك اللمسات الفنيّة في رسم بعض الصور الكاملة للأشخاص، والقدرة على السخرية اللاذعة في ثوب جاد حتّى تظهر وكأنّها غير مقصودة.[64] وهذا ما يراه أيضًا الدكتور نبيل راغب[65]، فهو يرى أنّ طه حسين تألّق في مجال السيرة الذاتيّة بكتابه الفريد "الأيّام" وهو فريد لأنّه استبنى فيه سُنة لم تتبع من قبل في الأدب العالمي كله للسيرة الذاتيّة، فبدلًا من أن يستخدم ضمير المتكلم في التعبير عن نفسه "صاحبنا" أي أنّه انفصل عن ذاته وأحالها إلى شخصيّة موضوعيّة مستقلّة تتحرّك أمامه في حين يراقبها في تأنٍ وبذلك انضمّ إلى صفوف القرّاء كي يتتبع معهم بطله، وإن كان هو البطل، وقد أتاح له هذا المنهج المبتكر القدرة على التخلّص من تضخّم الذات الذي يقع فيه الكثيرون من كتّاب السيرة الذاتيّة لدرجة أنّهم يصلون في بعض الأحيان إلى درجة مبالغ فيها من النرجسيّة.[66] [67] ويرى محمد بو عزّة[68] أن كتاب "الأيّام" سيرة ذاتيّة لأن السارد يسترجع فيها مراحل من حياته في طفولته وتعليمه الجامعي بالأزهر والجامعة المصريّة حيث يتطابق المؤلّف مع السارد في ضمير المتكلّم ويستحضر تجربته الذاتيّة كالإحالة على طه حسين في الأزهر والجامعة المصريّة، والإشارة إلى عمى الكتاب واستعانته بخادمه الأسود الذي يرافقه في الطريق، وإشارة إلى كثير من معالم قريته في الصعيد وهي نفس المعالم التي ذكرها في سيرته الذاتيّة "الأيّام".[69]

---

[62] محمد، الباردي: ولد في قابس تونس، 1947م، ناقد وروائي، له: مدينة الشموس الدافئة، اعلام والسفينة، قمح أفريقيا، الرواية العربية والحداثة، معجم الروائيين العرب، ص 363.

[63] أبو سيف سالم، ساندي: مرجع سابق، الرواية العربية، ص 257.

[64] عباس، إحسان: مرجع سابق، فن السيرة، ص 142.

[65] نبيل، راغب: (1940م-2017م) هو ناقد وكاتب وأديب مصري من مواليد طنطا، من مؤلفاته دليل الناقد الفني والأدبي، وعناصر البلاغة الأدبية، Http://maktabah.net أخذ بتاريخ 2023/3/18.

[66] النرجسيّة: حب الذات

[67] راغب، نبيل: دليل الناقد الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1998م، ص 141.

[68] محمد، بو عزّة: هو محمد عزة دروزة، ولد في نابلس، (1889م-1984م) باحث ومؤرخ وروائي، تلقّى علومه في نابلس، له: وفود النعمان، مختصر تاريخ العرب والاعلام، دروس في التربية، القرآن المجيد، مأساة فلسطين، معجم الروائيين العرب، ص 392.

[69] أبو عزّة، محمد: تحليل النص السردي لتقنيّات ومفاهيم، ط1، 2010م، الدار العربيّة للعلوم والنشر، الرباط، ص 36.

هـ-رواية:

وصاحب هذا التوجّه "ثروت أباظة"[70] في كتاب "شعاع من طه حسين" ففيه يذهب إلى أن كتاب "الأيام": رواية بكل ما تقوم به أركان الرواية، مؤكّدًا ابتعاده الشكلي عن الجنس السيري، ولا يميل لوصفه "بالسيرة الذاتيّة" لاسيما وأنّ مقوّمات الرواية نافرة من بين ثنايا "الأيام" في الجزأين الأوّل والثاني منه خاصّة.[71]وينطلق خالد كركي[72] من هذا التصوّر العام، يُفصّل وجهة نظره حول: الجزأين الأوّل والثاني من الأيّام فيقول إن الجزء الأوّل من الأيام أقرب الأجزاء إلى الرواية والتحليل النفسي، ففيه نجد أن طه حسين نجح في أن يستحضر في ذهنه طفولته المبكرة بوعيه المتطوّر للعالم، طفولته بكل ما فيها من رغبات حيويّة ومنع وآلام، وذلك بمشاهد ناجحة تنبض بالحياة والمشاعر والصدق.[73] ويذهب الكركي إلى أن "الأيّام" يصنّف روائيًّا، ويستمد قيمته من موقف بين تيارين وحضارتين، ويعطي العمل طابعًا روائيًّا أكثر من طابع السرد التاريخي، يضاف إلى ذلك مافي الأيّام من صراع حاد بين البطل، والقدر وما فيه من صدق، وحيويّة وانسياب وتشويق تؤدّي كلّها من خلال الأسلوب المميّز الموحّد، إلى اعتبار "الأيّام" عملًا فنيًّا فيه شروط العمل الفنّي الناجح من حيث الوحدة والانسجام والتناسق والألق.[74] ونخلص إلى القول: "من هنا نستطيع أن نجعل الأيّام قصّة تاريخيّة أو ترجمة حياة، فالأيام وبدءًا من صفحاتها الأولى يظهر طه حسين قاصًّا.[75] فأصحاب هذا التوجّه يرون في "الأيّام" شكلًا أقرب إلى الرواية بما تتميّز به من وحدة عامّة تربط بين ثنايا الأحداث وتتمتّع بمقوّمات الرواية الفنيّة باحتوائه على الشخصيّات الرئيسيّة والثانويّة وعناصر التخيّل والوصف.

الخاتمة:

نستطيع القول في نهاية بحثنا عن أن طه حسين كان له أفكار جديدة متميّزة فطالما دعا إلى وجوب النهضة الفكريّة والأدبيّة وضرورة التجديد والتحرير، والتغيير والاطلاع على ثقافات جديدة ما أدخله في معارضات شديدة مع محبّي الأفكار التقليديّة، وكانت من أفكاره أيضًا دعوته للحفاظ على الثقافة الإسلاميّة العربيّة مع الاعتماد على الوسائل الغربية في التفكير، فكان طه حسين مفكّرًا وأديبًا متميّزًا عن غيره من الكتّاب ولم يقف فقدان بصره الذي طاله منذ الصغر حائلًا بينه

---

[70] ثروت، أباظة: ولد في غزالة (الزقازيق بمصر) عام 1927م، كاتب وقاص وروائي، له: ابن عمّار، الأيام الخضراء، في مغيب القمر، حين يميل الميزان، معجم الروائيين العرب، ص 97.

[71] أبو سيف سالم، ساندي: مرجع سابق،الرواية العربية إشكالية التصنيف، ص 267-268.

[72] كركي، خالد: كاتب وشاعر أردني، ولد عام 1946م، له الرموز التراتبية العربية في الشعر الحديث، الصائح المحكي، صورة المتنبي في الشعر الحديث، اللغة العربية وهوية الأمة، انظر خالد كركي عبد الله، ص 4-5.

[73] أبو سيف سالم، ساندي: مرجع سابق، إشكاليّة التصنيف، ص 268.

[74] أبو سيف سالم، ساندي: مرجع سابق، اشكالية التصنيف، ص 268.

[75] المرجع نفسه، ص 268.

وبين التعليم والدراسة والثقافة بل كان هو الدافع الذي دفعه إلى ما وصل إليه الآن. فقد عمل على الكتابة بأسلوب سهل واضح مع الحفاظ على مفردات اللغة وقواعدها حتّى تصبح قراءة كتبه سهلة وواضحة لكلّ الناس.

النتائج والتوصيات

هذا وانتهى البحث بخاتمة تضمنت ما توصلت إليه من نتائج وخلاصات.

1- تؤدي السيرة الذاتية وظيفة الاعتراف ومساءلة الأنا بين محطتين صامتتين: ماضي الأحداث وحاضر الكتابة

2- يمكن أن نقول أن أدبية طه حسين تحقق معناها نظريًا على الأقل بتقاطع جملة من المقومات الفنية داخل العمل الأدبي نفسه وطائفة من المرجعيات لها دورها أيضًا في تركيبة النص السير ذاتي.

3- ولينية العنوان أهميتها في فهم مضامن الكتابة السير ذاتية تتسم السيرة الذاتية بطابعها الانتقائي لما يستعاد فيها مخزون الذاكرة.

4- تَبيَّن من البحث والتحليل أن السرد في النص السير الذاتي يمر عبر محطات الزمن الثلاثة بدءًا من الحاضر مرورًا بالماضي وانتهاءً بالمستقبل.

5- اقتضى النص في السيرة الذاتية البحث عن سياقاتها الفكرية وحواضنها الثقافية، وفي الوقت نفسه مراعاة حال المتلقي، ومدى استعداده لتقبل هذا النوع من النصوص.

6- تغدو اللغة بعثا على كناية الذات وبناء هويتها، استعانة بالسرد الذي يتم بواسطة إخفاء أحداث يعينها بالمرور على فترات بكاملها دونما الاشارة إليها أو ذكرها، اعتمادًا على تقنيات السرد الوظيفية ومنها على الخصوص حذف الأحداث أو تلخيصها.

7- للأمكنة دورها في منظومة العلاقات الاجتماعية إذ تكشف عن انتماء الإنسان وطبيعة شخصيته في السيرة الذاتية.

8- يمثل الزمن من منظورنا ويلي قوة تسير الأشياء نحو قدرها، تاركًا علاماته على المكان الذي يدل بدوره على تحولات اللحظة الزمنية نفسها.

9- وكشف البحث عن حقيقة محتواها أن النص الأدبي في انفتاحه، ليس بمعزل عن قارئ يفترض أن يثريه قراءة، تغدو معه هذه القراءة تأسيسًا لقراءات أخرى.

المَصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1- أبو سيف سالم، ساندي: **الرواية العربيّة، (إشكاليّة التصنيف)**، دار الشروق للنشر وموزعون. ط1، 2012.

2- أبو عزّة، محمد: **تحليل النص السردي لتقنيّات ومفاهيم**، ط1، 2010م، الدار العربيّة للعلوم والنشر، الرباط.

3- ابراهيم، محمود: **صدى الغزو الصليبي في شعر ابن القيسراني**، دار عمّار، عمان، الأردن، 1971م.

4- ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دائرة المعارف العثمانيّة، ط1، ج1، 1938م.

5- ابن عبد الله، شعيب: **الميسّر في البلاغة العربية**، دار ابن حزم، الجزائر، 1991م.

6- ابن منظور، **لسان العرب**، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، 2003.

7- الأيوبي، ياسين، ديب، محي الدين: **كشف الغموض عن قواعد البلاغة والعروض**، دار الشمال، طرابلس، سنة 1990م.

8- تالس، أرسطو: **فن الشعر**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، ط2، بيروت 1973م.

9- التّنوخي، محمّد: **المعجم المفصّل في الأدب**، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2.

10- جابر، عصفور: **الصورة الفنيّة في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، عام 1983.

11- الجارم، علي، أمين، مصطفى: **البلاغة الواضحة (البيان والمعاني والبديع)**، دار قباء، دمشق، البرامكة، 2007.

12- الجرجاني، عبد القاهر: **أسرار البلاغة في علم البيان**، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1968م.

13- الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الإعجاز**، تحقيق رضوان محمد الداية وفايز الداية، دار قتيبة، دمشق، عام 1983م.

14- الحاج، كمال: **رينه ديكارت**، دار الحياة بيروت، ط5، 1954م.

15- حسين، طه: **ألوان**، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1958م.

16- حسين، طه: **تجديد ذكرى أبي العلاء**، دار المعارف بمصر، ط2، عام 1976م.

17- حسين، طه: **حافظ شوقي، مجموعة مصورة**، منشورات الخانجي وحمدان، القاهرة، 1976م.

18- حسين، طه: **حديث الأربعاء**، المجموعة الكاملة، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1973م.

19- حسين، طه: **خصام ونقد**، دار العلم للملايين، ط8، بيروت، لبنان، 1978م.

20- حسين، طه: **الرصيف**، دار المعارف المصرية، ط4، 2013م.

21- حسين، طه: **في رحاب الحرمين**، ط1، دار الكتب والوثائق القومية، مصر، 1996م.

22- حسين، طه: **سيرة الغائب سيرة الآتي، السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين**، العدد 24، لا.ت.

23- حسين، طه: **في الشعر الجاهلي**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1926م.

24- حسين، طه: **مقدمة تقليد وتجديد، جمع وتقديم شكري فيصل**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1991م.

25- حسين، طه: **مقدمة فجر الاسلام**، لأحمد أمين، دار الكتاب العربي، ط 10، 1969م.

26- حسين، طه: **مع المتنبي**، دار المعارف، مصر، ط11، القاهرة، 1969م

27- حمدي السكوت، **قاموس الأدب العربي الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010.
28- راغب، نبيل: **دليل الناقد الأدبي**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ط، 1998م.
29- الزيات، أحمد: مرجع سابق، **المعجم الوسيط**، مادة [بَلَغَ]، ص 69.
30- زياد، ثميّة، وفاضل، دلال: **السّيرة الذّاتيّة في النّقد العربي الحديث**، جامعة العربي، ط1، 2013- 2014.
31- السمرة، محمود: **سارق النار**، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
32- الشايب، ندى: **فن السيرة الذاتيّة في الأدب الفلسطيني**، جامعة النجاح الوطنيّة، 2006.
33- ضياء الدين، بن الأثير: **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق أحمد الحدفي، بدوي طبانة، دار النهضة للطباعة والنشر، مصر، القاهرة، لا تا.، القسم الثاني.
34- طرابيشي، جورج: **معجم الفلاسفة**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط3، 2006م.
35- عبد الجليل، عبد المهدي: **بيت المهدي المقدس في أدب الحروب الصليبيّة**، دار البشير للنشر والتوزيع،عمّان، ط1، عام 1980.
36- علي، أسعد: **علم المعاني ومقتضى الحال**، جامعة دمشق، ط1، مجلد1، عام 1992م.
37- عيسى سليمان، سحر: **قراءات من المكتبة العربيّة**، دار البداية ناشرون، ط1، 2012م.
38- الفراهيدي، الخليل بن أحمد: **كتاب العين** "تحقيق" مهدي المخزومي وإبراهيم السامرَّائي، وزارة الإعلام، بغداد، 1980- 1986، ج6.
39- **قراءة في كتاب سيرة الغائب، سيرة الآتي، السيرة الذاتيّة في كتاب الأيام لـ"طه حسين"**، مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعيّة، العدد 24.
40- كرم، يوسف: **تاريخ الفلسفة الحديثة**، دار المعارف بمصر، ط5، القاهرة 1969م.
41- المناصرة، حسين: **وهج السرد**، مقاربات في الخطاب السردي السعودي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، (د - ط)، 2010.
42- النعيمي، أحمد: **الآفاق الإنسانية في الأدب والفكر**، دار البازوري العلميّة للنشر والتوزيع، عمّان الأردن، د.ط.
الهاشمي، أحمد: **جواهر البلاغة، في المعاني والبيان والبديع**. المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت،